الفصل السابع :

اول يناير ١٩٥٩

حملة بوليسية شاملة

* كم مرة ستسافرون .. ؟ والى متى ستسافرون ؟
واذا رجعتم ذات يوم فلاى منفى ترجعون ؟
(محمود درويش)

* ان ثلاثة ارباع الخبازين فى لندن يبيعون خبزا اقل من وزنه المقرر .
وهم جميعا يبيعون خبزا مغشوشا ذلك انهم ببساطة : راسماليون .
(كارل ماركس)
(راس المال)

الآن يطرق الحديد .. الحديد ..

يأتى الأول من يناير ١٩٥٩ ليجد السلطة وقد تفرغت لمحاولة يائسة للاجهاز على الشيوعيين ، والاعلام الحكومى وقد سود كل صفحاته ، وكرس كل ممكناته فى معركة ضدهم ، وليجد الشيوعيون وهم جميعا ما بين مقبوض عليه أو هارب .

الآن نسى الحليف .. حليفه

نسى كل ما كان ، واستعادت الغابة الشرسة كل عنفوانها ، لتدور طاحونة عداء غريب ومريب للشيوعية ، ولتدور معها وبها طاحونة تعذيب وحشى لم تشهد له السجون المصرية مثيلا .. لا من قبل ولا من بعد .

الآن نسى الحكم أن عدوه الرئيسى هو الاستعمار .

وتفرغ للعراك مع حلفاء الامس .

ولقد حددت فى بداية هذا الكتاب أن هدفى لن يكون الحديث عن مرحلة السجن . فهى مأساة لا يمكن الحديث عنها ـ عبورا ـ ولا ـ بالمناسبة ـ وهى جريمة لا يمكن التحدث عنها الا تفصيلا ، وبالبحث عن المسئولين عنها وعن منفذيها وعن أهدافهم الحقيقية ، وعن الثمن الذى تقاضوه .. وهو أمر يخرج عن اطار هذه الدراسة .

كذلك فانى اعتذر للقارىء مقدما اننى لن أخوض فى منحنيات أحداث فترة السجن ، فللسجن ظروفه الخاصة وملابساته الخاصة . ولن أتطرق الى أى منها الا اذا كان ذلك ضروريا لرسم اللوحة العامة التى استهدفها .. والتى يمكن تخيلها عبر خطين أساسيين :

ـ المتغيرات التى طرأت على الخط السياسى لكل من المجموعتين سواء خارج أو داخل السجن ..

ـ المتغيرات التى طرأت على التركيب التنظيمى لكل منهما ايضا .

.. وكل ما عدا ذلك أتركه ، لعل غيرى يتقدم ليحمل بعضا من العبء ، محاولا مثلما حاولت ، مقدما لنا صورة عن البطولات المتفانية ، والصمود الصخرى ، والثبات الراسخ التى يزهو به الشيوعيون المعتقلون

فى هذه الفترة السوداء ·· يزهون به ليس فقط أمام التاريخ ، وليس أمـام معذبيهم وخصومهم ، وانما أمام الاجيال المقبلة ··

* * *

فجر الأول من يناير ١٩٥٩

·· « فتح المحضر فى ١ ـ ١ ـ ١٩٥٩

بمعرفتنـا نحن البكباشى حسن المصيلحى مفتش قسم الشـيوعية بادارة المباحث العـامة ·

لأثبت الآتى :

·····

·····

·····

وبعد أن اتحدت المنظمـات معـا فى أوائل يناير ١٩٥٨ ، دب خـلاف بين قادة هذه المنظمات ، فانفصل قادة تنظيم الحركة الديمقراطية للتحـرر الوطنى وتختصر فى لفظ « حدتو » وكونوا منظمة مستقلة باسم « الحزب الشيوعى المصرى » أيضا ·· وأصبحت هذه المنظمة تميز بأنها فريق حدتو · واستمر اعضاؤها فى مزاولة النشاط الشيوعى مستهدفين قلب النظم الاساسية سياسية واجتماعية واقتصادية ، للبلاد بطريق القوة · وقد ثبت من التحريات والمراقبـات التى قامت بهـا فروع الادارة فى أنحـاء الاقليم ، ومما تكون لدى قسم الشيوعية من معلومات أن المديرين لهذا النشاط فى أنحـاء الاقليم هم الأشخاص الواردة أسماؤهم فى الكشوف المرفقـة والموقع عليها منا ، وهم أعضـاء اللجنة المركزية للمنظمة ، والقياديون الذين يديرون النشـاط فى المناطق المختلفة ، ومسئولوا الاتصـال والمطبوعات الذين يتولون مهمة ربط اتصالات الاعضـاء ببعضهم وخـلايا المنظمـة ببعضـها ، وطبـع وتوزيع النشرات السرية ·

وكذلك فقـد صدر أمر عسكرى باعتقـال جميع الاشخاص المذكورين بالكشف المرفق وتفتيشهم وتفتيش محـال اقامتهم ، ومحال عملهم ، وضبط وتفتيش من يتواجـد مع أى منهم وقت التفتيش ، وذلك لضبط ما قـد يوجد ممـا له علاقـة بالحركة الشيوعية أو ما يخالف القـانون ·

واليوم قامت حملة تفتيشية فى تمام الساعة ٢ صباحا من ضبـاط ادارة المباحث العـامة فى فروعها المختلفة ، وصـار ضبط معظم المـذكورين بالكشوف المرفقـة ··· وما زالت حملة التفتيش والبحث عن باقى المطلوبين مستمرة ·

وأقفل المحضر فى تاريخه وساعته ويعرض على نيابة أمن الدولة ..
بكباشى حسن المصيلحى »(١)

وقبل أن ننتقل نسجل عدة ملاحظات ..

- أن أوامر عسكرية بالاعتقال قد صدرت ضد الجميع .

- الحملة شملت كما حدد الكباشى المصيلحى ثلاثة مجموعات «اللجنة المركزية » والقيادين الذين قال انهم يديرون النشاط فى المناطق المختلفة ومسئولوا الاتصال والمطبوعات » الذين وصفهم بأن مهمتهم ربط اتصالات الاعضاء ببعضهم ، وخلايا المنظمة ببعضها وطبع وتوزيع النشرات السرية » .

- فالهدف كان وبالتحديد ضرب الجهاز الفاعل وشل باقى العضوية

- بمراجعة الاسماء نكتشف خللا كبيرا فى معلومات جهاز الامن وذلك بالرغم من التسيب التنظيمى ، وتسرب الكثير من المعلومات عبر الثرثرة والمشاحنات التى شارك فيها الكثيرون والتى طالت الكثيرين .

فمثلا نجد ضمن القائمة وتحت رقم ٢٥ اسم نبيل الهلالى وتحت رقم ٣٥ اسم سعد محمد عبد المتعال وكانا ضمن عضوية المجموعة الاخرى ونجد أن رقمى ٤٨ و ٤٩ يشير كل منهما الى « شخص معروف بأوصافه » .

- ويبقى أن نشير الى أن هذه الحملة كانت مجرد ضربة أولى فقد توالت حملات القبض جزئيا ، ثم حملة شاملة اخرى فى مارس ١٩٥٩ ثم حملات متتابعة ..

.. وبالنسبة لمجموعة الحزب تم القبض على عدد كبير أيضا ..

ولدينا قائمة تتضمن حوالى ثمانين اسما هى فقط « أسماء الذين أرسلت أوراق استكتابهم الى الطبيب الشرعى لمضاهاتها بالمضبوطات »(٢)

---

(١) ورقة فولسكاب مسطرة مدونة بالحبر الازرق مرقمة برقم (٢) موقعة باسم البكباشى حسن المصيلحى وعليها تأشيرة ... «الاستاذ صلاح نصار ١ - ١ - ١٩٥٩ » ثم توقيع غير مقروء . ومرفق بهذه الوقة قائمة من صفحتين مكتوبتين بالآلة الكاتبة تضمن ٤٩ اسما مقسمين الى ثلاثة أقسام اللجنة المركزية من ١ الى ١٣ . والقادون من ١٤ الى ٤٥ ثم مسئولوا الاتصال والمطبوعات من ٤٦ حتى ٤٩ . وكل ورقة من هذه الاوراق عليها توقيع بالحبر الازرق بكباشى حسن المصيلحى ثم التاريخ ١ - ١ - ١٩٥٩ وتوقيع بالقلم الكوبيا الازرق « نظر » ثم توقيع غير مقروء مودعة بالتحقيق القضائى - بدار القضاء العالى .

(٢) ملف القضية ٨ عسكرية عليا - المرجع السابق - ص ١٢٥ .

لكنـا نكتشف أيضـا خللا كبيرا فى معلومات الامن فكثيرين ممن قبض عليهم ضمن هذه المجموعة كانوا أيضا ضمن عضوية المجموعة الاخرى مثـل السيد جمـال اسحق ، ابراهيم محمد هاجوج ، أحمد عبد الحليم محمد ، محمـد عبد المنعم العياشى ·· الخ ·

·· وبعد الاجراءات الاولى والتى شابها ارتباك شديد ·· يرسل الآلاف الى معسكرات تعـذيب وحشى ويقـدم لمحـاكمة من فريق حدتو ٤٨ شخصا ومن مجموعة الحزب ٦٤ شخصا ··

والأسماء بالملاحق ·· لكننـا فقط نود أن نقـدم بعض الملاحظـات على هذه القوائم ·

فاذا ما حللنـا قائمة متهمى حدتو الثمـانية والاربعين نجـد أن من بينهم :

٢٧ محترفـا · أما عن التركيب الاجتماعى فنجـد بينهم ١٩ عاملا ـ ٢ صحفى ـ ١ صاحب ورشة ـ ٣ محام ـ ٨ طلبة ··

أما القائمة الاخرى فاننا نلاحظ ابتداء أن من بين الـ ٦٤ متهما المقدمين للمحاكمة ٢١ ن الأعضاء السابقين فى الحزب الموحد ·

·· ونجـد أن بينهم ثمانية محترفين منهم ٣ من الموحـد · أما عن التركيب الاجتمـاعى فنجـد بينهم ١٢ عاملا ، ١٣ موظفا ، ٨ مدرس ، ٦ طالب ، ١٠ مهنى ـ ١ وصف نفسه بأنه من ذوى الاملاك ·

* * *

والآن نحـاول أن نتابع بحثنا عبر مسارين :

فقـد كانت لحظـة الدخول الى السجن ·· هى لحظة الاعلان الرسمى لتفـرق السبل ·

ولم يعـد بالامكـان المداراة ··

·· ولنتابع خطوة خطوة ·· المسارين ·· وسنبدأ بمجموعة حدتو ·

·· كانت الضربة أكثر من قاصمة ·

فالمجموعة كانت مطمئنة الى حد ما · ولم تكون تتوقع الضربة · وان توقعتها فقد توقعتها بالنسبة للآخرين وليس لها هى · فى حين أن الخطة الأمنية كانت الاسراع باسكات حدتو حتى لا يرتفع صوتها المثير للحرج ، والمتحدث عن تاييد الحكم ··

كذلك كانت المجموعة لم تلم شملها بعد ..

فبعض قياداتها قد أعلنت الانسحاب ، وبعضها طرد ، والبعض باق والمناقشات لم تزل دائرة مع الآخرين الذين لم يزالوا يتذكرون تعاليم الماضى ضد الانقسام والانقساميين .

.. وكان من المفترض أن يعقد الاجتماع الاول للجنة المركزية لهذه المجموعة فى الساعة السابعة من صباح أول يناير ١٩٥٩ . ولعل الامر الذى يوحى بأن هذه المجموعة لم تكن تتوقع ضربة كهذه هو أن المكان المحدد للاجتماع الاول للجنة المركزية لم يكن بمنأى عن أعين البوليس ، فقد كان وببساطة شديدة منزل مبارك عبده فضل . (٢)

.. وكانت الضربة موجعة .

فأكثر العناصر القيادية قبض عليها . ولم يبق بالخارج سوى أربعة من أعضاء المكتب السياسى (كمال عبد الحليم ـ فؤاد حبشى ـ محمد يوسف الجندى ـ أحمد خضر) .

وسرعان ما قبض على ثلاثة منهم ولم يبق سوى كمال عبد الحليم وحده .

ودور النشر كلها أغلقت ومطبوعاتها صودرت . والمتنفسات سدت منافذها . والاجهزة الفنية ضبطت . ومنذ اللحظة الاولى للضربة أحست المنظمة باقتراب محنة قاسية فقد كانت الضربة أكثر من قاسية .

وبسرعة تجمعت بقايا الكادر تحاول أن تلم شملها ، وتحاول وفى ظل صعوبات بالغة أن تبنى جهازا فنيا جديدا . لتقول كلمتها فى الاحداث .. وبدأ الخلاف منذ اللحظة الاولى بين الكادر المتوسط الذى حمل عبء اعادة بناء المنظمة على كاهله وبين بعض التوجهات السياسية للمسئول السياسى الذى صمم على انتهاج خط التأييد لحكم عبد الناصر باعتباره سياسة ثابتة ..

ولعل عبارة وردت فى تعميم داخلى صدر فى نهاية يناير ١٩٥٩ يحاول أن يهدىء من ثائرة الكوادر التى لا تقبل بأقل من القاء القفاز فى وجه عبد الناصر ومبادلته هجوما بهجوم ، وشتائم بشتائم .. عبارة وردت فى هذا التعميم تقول باسم القيادة « نحن بين فكى كماشة البندق ، الحكم

---

(٢) شهادة المؤلف .

يصعد من حملته غير عابىء بنتائجها ولا بمواقفنا ، والاعضاء يصعدون من غضبهم غير عابئين بخطنا السياسى ولا بحقيقة الاوضاع » ٠

٠٠ بين فكى كسارة البندق ٠٠

هذا الوصف يلخص وبصدق كامل موقف الخط السياسى لحدتو ٠

فالحديث عن الحكم الوطنى وعن عدائه للاستعمار قد يكون مقبولا بالمنطق البارد ، والعقل المجرد ، والتحليل غير المنطوق أو المكتوب ، ولكن الحملة الناصرية الجارفة ، والهوس المعادى للشيوعية ، والعداء الشرس ، والتعذيب الوحشى ذلك كله ما كان له أن يترك مجالا لأى تحليل عاقل أو بارد ٠٠ ومع ذلك فقد قاومت حدتو تيار التباعد عن خطها السياسى ٠٠ كما قامت تيار الانحناء أمام حملة عبد الناصر والقبول بها ٠ وأصبح الموقف غاية فى التعقيد ٠ ومع ذلك فقد ثبتت حدتو على خط تأييد عبد الناصر ٠

كانت تعتبر أن كل ما يجرى ليس سوى سحابة صيف ، قد يطول أمدها قليلا ، وقد تثمر ثمارا مريرة ، وقد يصاحبها اعصار التعذيب الوحشى ، والهجوم الاكثر من عنيف ٠٠ لكنها فى نهاية الامر الى زوال ٠

وبغض النظر عن كل شىء فان التشبث بموقف كهذا فى ظل اعصار القبض ، والتشويه ، والتعذيب ، كان يتطلب ثباتا ورباطة جأش يستحقان الاعجاب ٠

وقد كانت قيادة حدتو ـ وبغض النظر عن كل شىء ـ قادرة وبعد أكثر قليلا من العام أن تزهو بموقفها الثابت هذا ، وأن تكتسب مع تطورات الاحداث اللاحقة ٠٠ مثل تأميم بنك مصر والبنك الاهلى وتأميم الصحافة ثم التأميمات الكبرى ٠٠ أن تكتسب المزيد من الزهو بموقفها القديم ، وبثباتها السياسى ٠

٠٠ والنماذج عديدة ٠

لكننا سنكتفى ببعض منها ٠

ففى سبتمبر ١٩٥٩ ، وعندما كانت حملة التعذيب الوحشى على أشدها، وتمارس بشكل جماعى ومنظم وثابت ٠٠ توجه جماعة حدتو خطابا مفتوحا الى جمال عبد الناصر يحمل العنوان التالى ٠٠ « خطاب مفتوح الى الرئيس جمال عبد الناصر من المعتقلين الشيوعيين المقدمين الى المحكمة العسكرية العليا » يقول ٠٠ « موقفنا هو التأييد الكامل لثورة يوليو ، ونحن نواصل خطة التأييد رغم اعتقالنا ، ونؤمن بأن المصلحة الطبقية

تحتم التحالف مع الحكومة الوطنية ، كما تحتم التحالف بين الطبقات الوطنية جميعا » (٤)

وهناك أيضا أقوال العديد من قيادات وكوادر حدتو أمام النيابة النيابة العامة ..

ونكتشف أن هذه الاقوال تتسم بصلابة الموقف ، والتمسك بالانتماء للمعتقد .. وأيضا بتأييد عبد الناصر .

يقول شهدى عطية الشافعى « أنا أؤمن بالشيوعية كنظرية ، وأنا أيضا أؤيد الحكم القائم وبتضامن القوى الوطنية ... واذا فرض وتحكمت الرجعية فى مصر فسوف أحاربها كل الحرب »(٥)

ويقول مبارك عبده « لقد اقتنعت بالافكار الشيوعية وأومن بمبادئها واعتبرها مصدرا لسعادة ورفاهية البشر ، وأعمل على الوصول الى تطبيق هذه النظرية فعليا بالجمهورية العربية المتحدة . » ثم أكد أنه « يؤيد حكومة الرئيس عبد الناصر وخطها الوطنى »(٦) .
عبد الناصر وخطا الوطنى » (٦)

ويقول أحمد على خضر « أنا عضو فى الحركة الشيوعية منذ عام ١٩٤٩ .. وأنا أؤمن بأن الشيوعية هى النظام المثالى الذى أعمل على وجوب تطبيقه بقيادة الطبقة العاملة وحزبها الشيوعى .. » ثم .. « وقرر المتهم أنه هو وزملائه يعتبرون أن المجتمع القائم فى الجمهورية العربية المتحدة مجتمع رأسمالى ، وأنهم يسعون من خلال التحالف مع البرجوازية الوطنية الى الانتقال به نحو الاشتراكية »(٧)

أما محمد يوسف الجندى فقد .. « امتدح النظم فى المجتمعات الشيوعية وقرر أنه يهدف الى اشراك الشعب فى ملكية وسائل الانتاج ، وزيادة القطاع الحكومى ، والقضاء على استغلال العمال والفلاحين وذلك عن طريق اشراك هذه الطبقات فى شئون الحكم .. وان التناقض القائم

---

(٤) ملف القضية ٢٤ لسنة ١٩٦٠ أمن الدولة بولاق ــ محكمة جنايات القاهرة ــ المتهم فيها محمد حسن جاد وآخرين . محضر اطلاع النيابة على مضبوطات عبد الله اسماعيل القاضى بتاريخ ٢١ ــ ٩ ــ ١٩٥٩ ص ١٦ .

(٥) ملف القضية ٩ عسكرية عليا لسنة ١٩٥٩ ص ١١٨٠

(٦) المرجع السابق ص ١١٨٤

(٧) المرجع السابق ــ ص ١١٨٥

بين المصالح المختلفة يمكن حله فى اطار الوحدة الوطنية ، وتغليب مصالح المجتمع ككل على مصالح الطبقات المعادية واجبارها على الخضوع للاغلبية وأكد على ضرورة الغاء التشريع القائم لمحاربة الشيوعية ، وقرر أنه يؤمن بالاشتراكية وبالنظرية الماركسية اللينينة ·· وأكد أنه يؤيد حكومة الرئيس عبد الناصر »(٨)

·· وقرر جمال الدين غالى « انه يهدف الى مجتمع اشتراكى تمتلك فيه الدولة الصناعات الاساسية وكل وسائل الانتاج الرئيسية ، وأنه يمكن الوصول الى هذا المجتمع باتحاد القوى الشعبية التى لها مصلحة فى تطبيق النظام ، والوقوف ضد من يعارضونه واعلن تأييده للرئيس عبد الناصر »(٩)

وقرر ابراهيم فؤاد المناسترلى « أنه لا يرى تفرقة بين مفهوم الاشتراكية والشيوعية ، فكلاهما يسعى الى تحقيق العدالة الاجتماعية ، وتقليل التفاوت بين الطبقات ·· والأول هو مجرد خطوة فى الطريق الى الثانى ، وقال أنه يؤيد هذا الفكر وينشد تطبيقه ·· وقرر أنه يؤيد الحكومة الوطنية » (١٠)

وقرر رفعت السعيد « أنه يؤمن بالشيوعية كنظام صالح للتطبيق ، وأنه يرفض أن يذكر ما اذا كان منضما الى منظمة شيوعية أم لا ، غير أنه أكد أنه يسعى لتطبيق هذا النظام بالبلاد ، وأنه سيحاول اقناع الناس بمبدئه وأهدافه وأنه يرى أن الواجب حاليا هو الالتفاف حول الحكومة ضد مؤامرات الاستعمار »(١١)

كذلك فان ابناء الموحد الذين قبض عليهم ضمن المجموعة الاخرى امثال سعد رحمى وعريان نصيف قد اتخذوا ذات الموقف الصلب ·

وقد يبدو ضروريا أن نسجل ·· أن كوادر حدتو التى تمسكت بمبدأ تأييد عبد الناصر تمسكت أيضا بالدفاع عن مبادئها ، ومعتقداتها ، وواجهت وبثبات المحققين والقضاة بهذا الموقف ·

ولقد ظل هذا الموقف متماسكا ·· وبرغم كل شىء ·

وحتى بعد محاكمة عسكرية لم تشهد أى مسحة من العدل أو التعقل ثم بعد شحنة تعذيب يفوق الوصف استشهد خلاله شهدى عطية الشافعى

---

(٨) المرجع السابق ص ١١٨٧

(٩) المرجع السابق ص ١١٨٧

(١٠) المرجع السابق ص ١١٩٦

(١٠) المرجع السابق ص ١١٩٦

(١١) المرجع السابق ـ ص ١١٩٧

ظلوا ثابتين على خطهم السياسى ·· وأعلنوا ومرة أخرى وأمام المحقق ذات الموقف (١٢)

وكان موقف التأييد للحكم الذى لم يهتز تحت الطأة التعذيب الوحشى والقبض الشامل ، والحملات الاعلامية الشرسة كان مؤهلا ·· ليس للتراجع وانما ويا للغرابة للنمو ··

ففى الخطاب المفتوح الموجه الى عبد الناصر والمؤرخ فى سبتمبر١٩٥٩ ·· نقرأ « انا نعتقد أن مجتمعنا لا يمكنه أن يسير فى اتجاه التطور الرأسمالى والاحتكارى ، ولا يمكنه أن يقتصر فى تطوره على خدمة مصالح الطبقة التى تملك وحدها ، وانما لا بد له أن يخدم أيضا مصالح الطبقات التى لا تملك » (١٣)

·· ولعل أوضح حديث عن تطور الموقف السياسى لمجموعة حدتو بعد حملة القبض يأتينا على لسان محمد يوسف الجندى اذ يقول : ·· « عندما قبض علينا فى ١٩٥٩ كنا نختلف عن المجموعة الاخرى بأننا نرى أن عبد الناصر يمثل الجزء المتقدم من البرجوازية الوطنية ، وان البورجوازية ليست فئة واحدة ، وانما فئات مختلفة ، وكنا نعتبر أن المجموعة التى يمثلها عبد الناصر مجموعة وطنية معادية للاستعمار ، وأنها تتطور وتتقدم ، ويمكننا أن نلعب دورا فى تطويرها وتقدمها ، وكنا نعتبر أن العداء الرئيسى يجب أن يوجه ضد الامبريالية ، ومن أجل تدعيم التحالف مع هذه المجموعة من البرجوازية ، والعمل على عزل القوى الأخرى

وكان تقييمنا للحملة فى ١٩٥٩ انها مؤامرة استعمارية تمت بالتعاون مع القوى اليمينية فى السلطة ، وانها نجحت فى جر القوى الوطنية الى الصراع فيما بينها وبين بعضها البعض سواء فى مصر أو على الصعيد العربى » ·

·· ويمضى محمد الجندى قائلا : « وفى يناير ١٩٥٩ وبعد حملة القبض

---

(١٢) راجع الاقوال مفصلة فى محضر تحقيق نيابة الخانكة فى قضية اغتيال شهدى عطية الشافعى بتاريخ ١٨ ــ ٦ ــ ١٩٦٠ والمحضر بأكمله مثبت فى : د. رفعت السعيد ــ الجريمة . وثائق عملية اغتيال شهدى عطية ــ دار شهدى للنشر ــ القاهرة ١٩٨٤

(١٣) ملف القضية ٢٤ لسنة ١٩٦٠ أمن الدولة بولاق ــ المرجع السابق ــ ص ١٧

أصدرنا عدة بيانات بهذا المعنى سواء بالنسبة للحملة ضد الشيوعيين المصريين أو بالنسبة للخلافات بين عبدالناصر وعبدالكريم قاسم والشيوعيين العراقيين • وكان زملاؤنا فى السجن قد بادروا بارسال خطابات لعبد الناصر وعبد السلام عارف وعبد الكريم قاسم بهذا المعنى » •

ثم •• « وفى أواخر ١٩٥٩ أو أوائل ١٩٦٠ نشر حديث لعبد الناصر مع محمد حسنين هيكل فى الاهرام هدد فيه عبد الناصر الرأسمالية المصرية باتخاذ اجراءات ضدها اذا لم تسهم فى عملية التنمية ، وهاجمها بشدة ، وبعد ذلك تم تأميم بنك مصر والبنك الاهلى وتأميم الصحافة • وهكذا بدأنا فى سجن الاسكندرية (حيث كانت تجرى محاكمتنا أمام المحكمة العسكرية العليا) سلسلة من المناقشات حول مغزى هذه الاجراءات ، وقال البعض بوجود مجموعة اشتراكية فى السلطة ، وأن عملية القبض والسجون والتعذيب انما تعبر عن نجاح القوى اليمينية والاستعمار فى الوقيعة بين القوى الوطنية وبعضها البعض ، وكان تقديرنا ان الحملة ضد الشيوعية لا تخدم الا الاستعمار ، وظل تقديرنا لعبد الناصر انه رجل وطنى ، وانه يمكن لعب دور لحل الازمة ليس بتصعيدها ، وانما برأب الصداع • واستمرت المناقشة بعد ذلك فى سجون الاسكندرية وابو زعبل والقناطر وقد استمرت المناقشة حوالى ستة اشهر عقد خلالها كونفرنس تنقل فى هذه السجون » •

•• وبعد ذلك « قدم المشروع المسمى ـ المجموعة الاشتراكية ـ وقد صاغ المشروع بهيج نصار ويمكن تلخيصه فيما يلى : ان البورجوازية الوطنية فئات متعددة منها فئات متقدمة ، وفئات متخلفة ، وانه فى ظل الظروف العالمية الحالية حيث تنتصر القوى الاشتراكية فى العالم ، وفى ظل تعاظم قواها ، أصبح للافكار الاشتراكية قوة جذب بحيث نمت فى البلدان المتحررة أفكار اشتراكية غير علمية ، تختلف عن اشتراكية الدولية الثانية بموقفها الحاسم ضد الاستعمار •• وان الفئات التى تتبنى هذه الافكار يمكنها ان تتطور فى اتجاه الاشتراكية العلمية ، ويتطلب ذلك كى يتحقق دورا ايجابيا من حزبنا بدفعة الى الاتجاه الصحيح •• وكانت هناك مقدمة للمشروع تقرر أن الرأسمالية فى البلاد النامية قد أصبحت عاجزة عن مواصلة قيادة حركة التحرر الوطنى الى نهايتها ، وان القوى المتقدمة من البورجوازية الوطنية والتى تتأثر موضوعيا بالمجريات العالمية والمحلية تتجه من ثم نحو الحل الاشتراكى • وكنا نتخذ تجربة كوبا دليلا على ذلك • » •

وقد •• « طالب التقرير بالسعى لتحقيق وحدة العمل مع المجموعة الاشتراكية » •

وهذا القرار « لم يكن يعتبر السلطة فى مصر اشتراكية ، وانما كان

يرى وجود مجموعة فى قمة السلطة بقيادة عبد الناصر لها اتجاهات اشتراكية غير علمية وتتطور فى اتجاه الاشتراكية العلمية » ٠

« وقد وافقت أغلبية الكادر على هذا القرار وعارضه ثلاثة فقط من أعضاء الكونفرنس ثم أرسل القرار لرفاقنا فى سجن الواحات حيث وافقوا عليه وطوروه »(١٤) ٠

ولقد تبدو هذه القدرة على الثبات تجاه تحليل سياسى مسألة مثيرة للاهتمام ولقد تبدو عملية تطوير هذا الثباتنحو المزيد من التقييم الايجابى٠٠ فى ظل السجن والتعذيب الوحشى مسألة مثيرة للدهشة ٠٠ لكن الاكثر اثارة هو انها قد تبلورت بعد المذبحة الاكثر شهرة والتى وقعت يوم ترحيل رفاق حدتو الى معسكر تعذيب ابى زعبل عقب انتهاء محاكمتهم ٠٠ والتى استشهد فى خضمها شهدى عطيه الشافعى ٠

والحقيقة أن موقف رفاق حدتو فى هذه المرحلة يثير الكثير من الاعجاب ، سواء ممن يتفقون مع أطروحاتهم الفكرية والسياسية أو ممن يختلفون معها ٠

فقد ظلوا رافضين لأى تخل عن الموقف ، وفى مواجهة لخصم كانوا الاكثر تحديا والاكثر تمسكا باعلان انتمائهم للمعتقد الماركسى ، والاكثر استمساكا به وبالدفاع عنه فى محاضر التحقيق وأمام النيابة وامام المحاكم ٠٠

وفى ذلك الحين كانت أبواب السجن مفتوحة لكل من يتخلى عن مبادئه ٠٠ ويستنكرها لكنهم كانوا وفى وجه هذه المعاناة يتحدون بصلابتهم وتماسكهم « سيف المعز وذهبه » ٠٠ اغراء السلطة ووحشيتها معا ٠

وأمام المحكمة كانوا يزهون بتاريخهم النضالى وبمواقفهم السياسية ، ويدافعون عن مبادىء الماركسية اللينينية ولقد كان الشخص الذى جلس مجلس القاضى (الفريق هلال عبد الله هلال قائد سلاح المدفعية) مسكينا حقا ٠٠ فهو مواجه « بمتهمين » ٠٠ يؤيدون الحكم ٠٠ ويؤيدون سياسته ، ويتمسكون بماركسيتهم فى ذات الوقت ٠

وقد ارتبكت المحكمة ارتباكا شديدا عندما صدرت اثناء جلساتها قرارات تأميم الصحف ، وتأميم بنك مصر والبنك الاهلى ، فى حين ان التهم القانونية التى وجهتها النيابة العامة تتضمن ان « المتهمين » يدعون الى « التأميم » ٠

وتحولت جلسات المحكمة الى مهرجان خطابى تسيده المتهمون فى مواجهة قاض ضعيف ، خالى الوفاض ، غير مدرك لكل ما يجرى حوله ٠٠

---

(١٤) الجندى ــ المرجع السابق .

وأصبحت الدفاعات السياسية للمتهمين تزهو بصحة المواقف ، وبالتضحيات القديمة ، وجلس القضاة فاغرين أفواههم فى دهشة وهم يستمعون الى حقائق غابت عن عقولهم ، والى بطولات الشيوعيين فى معارك بورسعيد ·· والى ما هو غير منطقى من ردود فعل الحكم على ذلك كله ·

ولكن ·· كانت الاحكام الشديدة القسوة ، والخالية من أية فطنة ، معدة سلفا ، وصادرة من أعلى ··

* * *

وقبيل المحاكمة والتى جرت فى الاسكندرية عمدا لتبعد عن الاضواء ··

وجه شهدى عطيه الشافعى رسالة الى عبد الناصر ··

ونقرأ فيها ·· « انى أشعر أن قضية الوطن أكبر من كل شىء ، وأن محاكمتى ليست مجرد محاكمة لفرد بتهمة يعاقب عليها قانون العقوبات ، وانما هى اخطر من ذلك بكثير ·· انها قضية مبدأ ، وقضية جزء من أبناء هذا الوطن هم من أخلص المؤيدين لزعامتكم الوطنية ولسياستكم التحررية ، وللاسس الاجتماعية والاقتصادية التى شيدتموها بموجب هذه السياسة ، ومع هذا فهم يوضعون اليوم موضع المحاكمة والاتهام ·· وياله من اتهام ، اتهام بقلب نظام حكم وطنى هم من أشد الناس حرصا عليه ·· » ·

« ·· ان الشيوعيين فى الاقليم المصرى من أشد أنصار الحكم اخلاصا ، وأكثرهم دعوة للشعب للالتفاف حول زعامة عبد الناصر ·· ان الشيوعيين هم حملة لواء الجبهة الوطنية المتحدة التى تضم العمال والفلاحين والمثقفين والرأسماليين الوطنيين وصغار الملاك ، من أجل دفع الوطن الى الامام ، ومن أجل معركة البناء ·· » ·

ثم ·· « ·· اننى عندما أتوجه الى سيادتكم بهذا الخطاب فانما اخاطبكم من الاعماق ، وبكل اخلاص وأمانة ·· ها هى تسعة أشهر قد مضت على بدأ هذه الحملة ضد الشيوعية فلنر حصيلتها على النطاق العربى ·· هل أزالت الجفوة بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق ؟ هل قضت على أوجه الخلاف بينهما ؟ هل مهدت السبيل لتحقيق الوحدة أو الاتحاد أو حتى التضامن بينهما ؟ والتضامن والاتحاد بين هاتين الجمهورتين المتحدتين المستقلتين بالذات هو اليوم فعلا عماد التضامن العربى بأسره وركنه الركين وحصنه الحصين ·· ثم الا نرى ان النظام الملكى فى الاردن هو الذى توطدت أركانه ، والنظام الملكى فى السعودية ·· هو الذى ثبتت أوصاله ·· » ·

وتمضى رسالة شهدى فيما يشبه التأنيب ، وفيما يعتقد انه يغضب عبد الناصر أكثر من أى هجوم سافر ·· « ثم لنر حصيلة هذه الحملة فى نطاق الجمهورية العربية المتحدة ·· ألم يفز رجال حزب الشعب فى انتخابات الاتحاد القومى فى الاقليم الشمالى ، وكلنا نعلم من هو حزب الشعب ، ألم يكن اقوى عميل فى سوريا لحلف بغداد ولنورى السعيد وللوحدة مع العراق الملكية ؟

ألم تفز هنا فلول الاحزاب المنحلة ، ورجال العائلات الاقطاعية فى انتخابات الاتحاد القومى فى الاقليم الجنوبى ، وكلنا نعلم انهم فى جوهرهم معادون للحكم الوطنى لانه قد حرمهم من كثير من نفوذهم السياسى والاقتصادى ·· ثم ألم نجد المعارضة وهى تشتد لقراركم الرائع بتحديد أرباح الشركات فى أوائل ١٩٥٩ ، وقانون التأمين الاجتماعى ؟ » ·

·· وبعد هذا التأنيب تقدم الرسالة برنامجا للتحالف ·· « نحن رغم اعتقالنا ، ورغم كل ما لاقيناه من عنت وارهاق ، ألم نكن هذه محنه ما أقساها من محنة ؟ ومع هذا لم تزحزحنا قيد أنملة عن الثقة فى وطنيتك ··· ان سياستنا هى هى لم تتغير :

ـ التفاف الشعب حولك وحول حكمك الوطنى ··
ـ تحالف كافة الطبقات الوطنية من أجل تنفيذ برنامجك البنائى ··
ـ تكاتف هذه القوى كلها فى داخل الاتحاد القومى وتحويله فعلا الى تنظيم فعال للشعب كله ·
ـ تأكيد وحدة مصر وسوريا التى هى الحصن الحصين للعرب كافة ··
ـ ازالة الشقاق والجفوة بين الجمهوريتين وتناسى الاحقاد فى سرعة وحسم ، وتمهيد الجو للتضامن بين الشقيقتين كخطوة لتحقيق الاتحاد بينهما ··· ونحن ننتظر من الدولة الاكبر وهى الجمهورية العربية المتحدة ومن الزعيم الاكبر وهو جمال عبد الناصر أن يكونا هما الارحب صدرا ، وهما الساعيان لازالة هذه الجفوة ، فالشقيقة الكبرى هى التى ينتظر منها الصبر والحكمة وازالة مخاوف الشقيقة الصغرى ·

ـ تأكيد العلاقات الودية مع المعسكر الاشتراكى ···

هذه هى سياستنا ، وهذا هو تطبيق مبادئنا ·· »(١٥) ·

---

(١٥) رسالة من شهدى عطية الشافعى الى جمال عبد الناصر ـ مكتوبة بخط اليد على ورق خفيف ، وقد تم تهريبها من سجن مصر الى خارجه لتجد طريقها الى عبد الناصر ـ والرسالة مؤرخة سبتمبر ١٩٥٩ (صورة خطية من الرسالة) .

فماذا كان رد الفعل عند عبد الناصر ٠

٠٠ حملة عنيفة داخل السجن لمصادرة الاوراق والاقلام ٠٠ ثم ترحيل كل السجناء الشيوعيين من سجن مصر حيث كانوا يعاملون معاملة عادية ، الى معسكر تعذيب ابو زعبل حيث مورست ضدهم أبشع حملات التعذيب الوحشى ٠

ورغم ذلك فقد استمرت مجموعة حدتو على ذات النهج ، وتمسكت بذات السياسة ٠٠ وبدا اعضاؤها كشهداء المسيحية القدامى وهم يتمسكون بكلمات الانجيل « احبوا مبغضيكم » ٠

ويقف أحمد الرفاعى امام المحكمة العسكرية العليا ليرد على شهادة رجال مباحث أمن الدولة ، وليواجه القضاة برأسه الفريق المرتبك والذى بدا كرسى القضاء كبيرا جدا بالنسبة له ٠٠ يقف ليزهو أمامهم بانه ورفاقه كانوا أول من دخل بورسعيد بعد احتلالها بواسطة الانجليز ٠٠ وبعد فرار القوات المسلحة منها ٠٠

« اظن يا حضرات الضباط العظام اننى عندما توجهت الى بورسعيد المحتلة ، لم تكن هناك قوة تلزمنى بذلك ، فقد كان يمكننى أن اظل بالقاهرة شأن بقية الناس ، فلست من رجال الجيش ، كان بامكانى ان اظل فى القاهرة شأن الشهود من رجال المباحث العامة ٠٠ فلماذا ذهبت الى بورسعيد ؟ هل ذهبت هناك لقلب نظام الحكم ، هل ذهبت الى هناك لتحريض العمال ضد النظام وضد الحكومة ؟ » ٠

ثم « ٠٠ عندما دخلنا بورسعيد وجدنا مدينة مضروبة ومهزومة ، لا حكومة ولا بوليس ولا أى شىء ؟ كل من فيها يحس بالضياع ٠٠ فأين كان رجال المباحث ؟ لقد كان مخبروهم فى بورسعيد يواصلون دورهم فى تقسيم الصفوف الوطنية ، والتجسس على الوطنيين ، بل لقد وصلت بهم الفجة انهم كانوا يشتركون مع الانجليز فى مطاردة الوطنيين وفى رفع وتمزيق صور عبد الناصر التى كنا نقوم نحن بلصقها على الجدران ٠٠ »(١٦) ٠

ولابد ان هذه الكلمات كانت هى الاخرى أشد قسوة من كلمات المعارضة والانتقاد ٠٠

---

(١٦) دفاع من المتهم أحمد الرفاعى ــ مقدم الى المحكمة العسكرية العليا دائرة الفريق هلال عبد الله هلال قائد سلاح المدفعية ــ مكون من اربعة عشر صفحة فولسكاب مكتوبة بالآلة الكاتبة ــ (نسخة أصلية) .

وما ان غادر المتهمون ساحة المحكمة حتى جاء قصاص الحكم وقصاص رجال المباحث ·· وكانت المذبحة الوحشية التى استشهد فيها شهدى عطية الشافعى ·

وقبل ان ننتقل الى مسيرة الفريق الآخر نلاحظ ان تطور الاحداث وعودة قوس عبد الناصر الى الصعود وسلسلة الاجراءات الاجتماعية والاقتصادية التى اتخذها (التأميمات ـ قوانين الاصلاح الزراعى الثانية ـ سلسلة القوانين المنظمة للقطاع العام وحقوق العمال ··) قد منحت حدتو الفرصة من جديد لتزهو بخطها الثابت ، ولتجنى ثمار تمسكها به ··

وزاد من هذا الزهو ·· ان العلاقات قد توثقت بصورة لم يسبق لها مثيل مع المعسكر الاشتراكى وبدأ سيل الكتابات والتوجهات الاممية التى تساند وربما فى مبالغة تصل الى حد التمجيد دور عبد الناصر واجراءاته ··

ومع صعود قوس عبد الناصر من جديد ، صعد قوس حدتو ايضا ··

وبدت مواقفها أكثر اتساقا ، وبدت سياستها المستمرة والثابتة أكثر اغراء · فى مواجهة خط سياسى مرتبك وخلافات تنظيمية مستمرة لدى الطرف الآخر ·· بما أعاد من جديد فتح ملف استعادة حدتو للغالبية من رفاق الموحد الذين كان قد صمموا على البقاء ·

ولنتابع معا هذه المسألة ··

يقول سعد رحمى « وقضيت سنوات السجن مع هذه المجموعة فى جو من اللامبدئية والشللية والمزايدات المتبادلة ·· وبدأت تمردات عديدة مثل مجموعة الافق (شكرى عازر ـ ثروت الياس ـ مجدى الياس ـ رزق عبد المسيح ـ رؤوف نظمى ·· وآخرين كلهم من الراية) وكانت هناك كتلة أخرى تلتف حول سعد زهران ·· وكان التنظيم أعجز من أن يتخذ أى قرار ضدهم »(١٧) ·

وعن تجربة سجن ابو زعبل يقول عيد صالح مبروك « سرعان ما اكتشفنا فى السجن اننا لسنا حزبا واحدا ، كل القيادة الحزبية كانت تقريبا فى السجن وفى عنبر واحد ، ولاحظنا انهم يجلسون كمجموعتين (الراية وحدها و ع · ف وحدها) أولا ، ثم يجلسون معا كقيادة واحدة ·· وكانت مجموعة الموحد الباقية معهم هى التى توحدهم ، وكان كل طرف يحاول ان يكسبها ·· وقد وصلت الخلافات بينهم الى درجة الاشتباك بالايدى ·· واستمر الاشتباك الجماعى بين الكتلتين لمدة ساعتين ، وفى هذه اللحظة

---

(١٧) رحمى ـ المرجع السابق .

أحسسنا أننا لسنا مثلهم ، وليسوا مثلنا ·· واننا لسنا مع أى منهما ·· وفى داخل العنبر تجمع ١٥ من الرفاق (محمود العالم ـ عيد صالح ـ سمير توفيق ـ محمود مرسى ـ الخ) وكان أغلبنا من الموحد ولكن كان معنا بولس لطف الله (راية) وفكرى رفاعى وصابر البياع (ع · ف ·) ·· وأعلنا اننا لا نخضع لأى من المجموعتين ، ولا للقيادة الموحدة ·· وشكلنا مجموعة ثالثة سرعان ما انضمت الى جماعة حدتو عندما رحلنا الى سجن الواحات »(١٨) ·

·· وعن تجربة سجن القناطر يقول فوزى حبشى « فى سجن القناطر من مايو ١٩٥٩ وحتى ١٩٦١ كانت مجموعتا الراية و ع · ف فى صراع مستمر بينهما ، ويتآمران معا ضدنا نحن رفاق الموحد ·· رغم اصرارنا على الاستمرار معهما فى الحزب ·· وبدأت عملية الاسراع فى تباين المواقف ، وكانوا يندفعون أكثر فأكثر باتجاه استعادة شعار الفاشية ·· وعندما جاءت اجراءات التأميمات بدأ رفاقنا فى الحزب يشددون من الهجوم على عبد الناصر ، وفسروا القرارات تفسيرا أخرق باعلان انها تخدم رأسمالية الدولة الاحتكارية ··

وبدأنا نحن رفاق الموحد نهتز تنظيميا وعقدنا اجتماعات منفصلة انا وعبد الله الزغبى و د· مختار السيد ومحمد مستجير مصطفى ثم أصدرنا بيانا حدنا فيه موقفا مغايرا ، وأعلنا ادانتنا للموقف السياسى لهذا التكتل (ذات الاسم الذى كانت مجموعة حدتو تطلقه على مجموعة الحزب) وقلنا ان هذا التكتل قد أصبح يمثل خطورة على الوطن ككل ، وليس على مسيرة الحزب وحده »(١٩) ·

ويكمل عبد الله الزغبى القصة « كان البيان الذى أصدرناه يمثل تصورا متكاملا للموقف من عبد الناصر وأيدنا التأميمات ، ووصفناها بانها خطوة وطنية ، ومع ادانتنا للتكتل فقد أعلنا ان لدينا تحفظات أربعة ضد مسلك حدتو اذكر منها ثلاثة :

١ ـ سرقة المطبعة ·

٢ ـ مجموعة روما ·

٣ ـ فكرة المجموعة الاشتراكية ·

---

(١٨) مبروك ـ المرجع السابق .

(١٩) حبشى ـ المرجع السابق .

وبعد صدور الميثاق الوطنى قبلنا الدخـول الى حـدتو مع تمسكنا بتحفظاتنا الاربعة »(٢٠) ٠

٠٠ وكان قوس حدتو يصعد الى الدرجة التى جعلها تستعيد الى صفوفها ليس فقط الكثيرين من أعضاء الموحد الذى بقوا فى صفوف جماعة الحزب ، وانما بعض رفاق من الراية ، و ع ٠ ف ، بل وبعض ألد خصومها القدامى من أعضاء المنظمات الصغيرة أمثال ابراهيم فتحى وابراهيم عامر (من المنظمة الصغيرة المسماة وحدة الشيوعيين) ٠

ونأتى الآن الى المجموعة الاخرى ٠٠

يقول فخرى لبيب « كانت ضربة يناير ١٩٥٩ رهيبة ، وقد تركزت على الكوادر القيادية ، وكنا قد اتخذنا سلسلة من القرارات بالتزام الرفاق المركزيين باجراءات امنية ٠٠ لكن الغالبية الساحقة لم تلتزم بها ، وهـذا يعكس ان التشدد السياسى لم يكن يتضمن قناعات داخلية ٠٠ ولم يبق من اللجنة المركزية سوى ابو سيف يوسف ـ فخرى لبيب ـ عبد المنعم شتلة ـ محمد بدر ٠ وبدأنا فى تشكيل لجنة مركزية جديدة من الاحتياطى وكنـا نعتبر معظم اللذين تم تنزيلهم من اللجنة المركزية الموسعة احتياطى فأضيف الينا عبد الله كامل ـ نبيل صبحى ـ سامى عجيب ـ انجى افلاطون ٠٠ وآخرين ٠ وتشكلت سكرتارية ثلاثية : ابو سيف يوسف ومحمد بدر وفخرى لبيب وتوليت المسئولية التنظيمية وبدأنا فى القيام بنشاط غامر وأصدرنا بيانا فى ٩ يناير مطبوعا بالمطبعة ووزع بكميات كبيرة ٠٠ وفى هذه الفترة أدخل الحزب فى خطه الساسى عبارة أن الطبقة الحاكمة متأثرة بالاحتكار وشبه الاحتكار ٠ ثم وضع الحزب خطة أسميت خطة مايو ١٩٥٩ وكان محورها الديمقراطية والتحذير من سياسة معاداة الشيوعية ، وتأثير الاجنحة اليمينية على النظام ٠ وفى تقديرى ان الوضع السرى وروح التحدى أعطتنا قدرا من القوة أو مظهرا أكثر من حقيقتنا ، ولكن توالى البيانات واتساع نطاق توزيعها أعطى انطباعا بأن الحزب قوى ٠٠ وهنا حدثت ضربة مارس وقد وصلت حتى القواعد ، وكان المقصود بها عملية اجتثاث للحزب ، وقد اربكتنا هذه الضربة ارباكا شديدا وأصابت المناطق والاقسام وحتى الخلايا ، ومع ذلك تم تجميع من تبقى من الرفاق وشكلت قيادة جديدة من أبو سيف يوسف ـ فخرى لبيب ـ سعد الطويل ـ نسيم يوسف ـ سامى عجيب ـ عبد الله الزغبى ٠٠ وتوالت عمليات القبض وكان آخر شكل للقيادة مكونا من ابو سيف يوسف ـ شوقى مجاهد ـ اسماعيل

---

(٢٠) الزغبى ـ المرجع السـابق .

المهداوى ·· وفى عام ١٩٦٠ قبض على الثلاثة بما يعنى توجيه ضربة نهائية للحزب »(٢١) ·

ويكمل عبد الله الزغبى الرؤية ·· « كانت اللجنة المركزية تعمل فى مجموعتين منفصلتين ، تعقد كل منهما اجتماعاتها منفصلة وكانت مجموعتى تضم سعد بطرس الطويل ـ ونسيم يوسف وأحمد الجبالى وأنا ·· والمجموعة المركزية قبض عليها خلال اجتماع لنا »(٢٢) ·

ولكن قبل ان نتابع الخط السياسى الجديد ·· وكيف ساقته الاحداث نحو المزيد من التشدد ، نتوقف لنتأمل موقف رفاق هذه المجموعة فى تحقيقات النيابة ··

وسنكتشف هنا شيئا غريبا ·· فبينما كان رفاق مجموعة حدتو يؤيدون الحكم (واتهموا باليمينية) فقد اتخذوا موقفا متماسكا امام النيابة واعلن الكثيرون (كما رأينا فى صفحات سابقة) تمسكهم بمعتقداتهم ودافعوا عن الفكر والنظرية الماركسية ·

وبينما كان رفاق المجموعة الاخرى يرفعون شعارات سياسية متشددة فانهم وما ان واجهوا المحقق لم يتبنوا لا الدفاع عن خطهم السياسى ولا عن معتقداتهم النظرية ··

·· والاستثناءات قليلة ·

فأمام المحقق قال يوسف درويش (ع·ف) ·· « أنا مقتنع بالماركسية كأساس وأسلوب لتحليل الأوضاع » ثم اكد « اننى أتمسك بوجود الحكم الوطنى بقيادة البرجوازية الوطنية لان هذه المرحلة تتطلب حشد جميع المجهودات من كافة الطبقات الشعبية والوطنية » (٢٣)

وعادل فهمى (ع·ف) يقرر « أنا مؤمن جدا بالمبدأ الماركسى والاشتراكية العلمية ·· ويسأله المحقق وهل ترى تطبيق الماركسية فى مصر فيجيب : ولم لا » (٢٤)

---

(٢١) لبيب ـ المرجع السابق .

(٢٢) الزغبى ـ المرجع السابق .

(٢٣) ملف القضية ٨ عسكرية عليا لسنة ١٩٥٩ ـ محضر أقوال يوسف درويش أمام النيابة العامة ـ ص ٢٦٠

(٢٤) المرجع السابق ـ محضر أقوال عادل فهمى شفيق أمام النيابة العامة ـ ص ٢٧٧ .

ويقول حلمى يسن (ع·ف) ردا على سؤال المحقق « وهل تؤمن بمبادىء معينة اقتصادية كانت أو سياسية أو اجتماعية ؟ » ؟ ·· « رغم أن هذا السؤال يتنافى مع الدستور الذى يحمى أى مواطن من السؤال عن عقيدته الا أننى لا يمكن أن أخفى أننى مقتنع بأن مبادىء الاشتراكية العلمية هى المبادىء الصحيحة ·· والاشتراكية العلمية هى التى تقوم أساسا على ملكية المجتمع لوسائل الانتاج وأن ما تقوم به الحكومة حاليا لهو خطوات كبيرة نحو المستقبل ، وهى خطوات أساسية وهامة ·· وكل هذه خطوات طيبة وأنا أؤيدها وأحييها ، ولكنها لن تؤدى الى الاشتراكية بحال من الاحوال ، انها فقط خطوات للامام نحو الاشتراكية » وأكد « اننى منذ سنة ١٩٥٥ وحتى اليوم أدافع عن الحكم الوطنى برئاسة جمال عبد الناصر » (٢٥)

وفيما عدا ذلك نجد مواقف مغايرة تتخذها حتى القيادات التقليدية التى اتخذت موقف التشدد ·· ونقرأ سريعا بعض الاقوال ··

ريمون دويك (أحد قادة ع·ف) ردا على سؤال النيابة « هل تؤمن بالمبادىء الشيوعية » يقول فى حسم « لا ·· ماليش عقيدة شيوعية . وعقيدتى هى أساسا التحرر الوطنى وتصنيع البلاد »

ويسأله المحقق « وما هى وسائل ذلك » فيجيب « تضامن الجميع فى سبيل ذلك ·· كل واحد يعمل فى اختصاصه بأمانة وخلاص » ·

ثم يقرر « أنا أعمالى عامة وظاهرة وليست سرية ، وهى أعمال أنا معتز بها جدا ، وهى تتنافى مع هذه التهمة » (٢٦)

وأحمد صادق سعد أحد قادة ع·ف يقول ·· « ما كنت محرر فى جريدة الفجر الجديد وموضوعاتى كانت سباقة ، ورأيى بعد ذلك بعض آرائى تنفذ وخاصة على أيدى حكومة الرئيس جمال عبد الناصر » (٢٧)

أما حسن صدقى (ع·ف) فيقول « أنا مبادئى ضد الاستعمار وأؤيد السلام ورفع مستوى معيشة الناس ·· بنشر التعليم والعلاج وزيادة مرتبات الموظفين ·· » ويسأله المحقق « ومن الذى يعمل ذلك ؟ » فيجيب

---

(٢٥) المرجع السابق ـ محضر أقوال محمد حلمى يسن أمام النيابة العامة ص ٢٣٠ ·

(٢٦) المرجع السابق ـ محضر أقوال ريمون دويك أمام النيابة العامة ـ ص ٢٥٦ ·

(٢٧) المرجع السابق ـ محضر أقوال أحمد صادق سعد أمام النيابة العامة ـ ص ٢٢٧ ·

« الحكومة اللى تعمل كده ·· وهى تقوم الان جزئيا والباقى المفروض انها تقوم به على مر الزمن »(٢٨)

ولويس اسحق يوسف (ع·ف ·) يقرر « أنا فى رأيى أن سياسة العهد الحاضر معادية للاستعمار وأنها سياسة وطنية وأنا أؤيد أى سياسة وطنية »(٢٩)

أما حسين توفيق طلعت (ع·ف) فيقرر «أنا شخص غير سياسى»(٣٠)

وأيضا يقرر نبيل باسيلى قرنفلى (ع·ف) « أنا مش خبير فى السياسة وانما شايف مصر ماشية فى سياسة وطنية وفيه تقدم اقتصادى »(٣١)

ويقول د· اسماعيل صبرى عبد الله (الراية) بعد أن يشرح آراءه الاقتصادية ويقرر أن الحكومة تعمل على تنفيذ هذه الاراء « وهذا هو سبب تأييدىُ للحكومة وعملى فى أحد أجهزتها التى تنفذ هذه السياسة » ·

ويسأله المحقق « ألا تختلف معها فى وسائل تنفيذها » فيجيب « لو كنت مختلفا معها لما تعاونت بالشكل الذى أتعاون به حاليا » ·

ولست ألوم أحداً على هذه الاقوال ·· بل لعل فيها بعض الصحة لكننى فقط أقرر أنها تختلف عن الخط السياسى المتشدد الذى تبنته هذه الجماعة وأدانت به موقف الطرف الآخر ·· ولعل هذا الخط المتشدد هو الذى دفع الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله الى أن يحذر المحقق ·· « اننى أحذر مقدما من أى كلام قد تنسبه الى بعض العناصر المريبة التى حشدت فى هذه القضية ، والتى قد تستعمل فى تقديم اتهامات مكذوبة أو أقوال استفزازية » (٣٢)

---

(٢٨) المرجع السابق ـ محضر أقوال حسن صدقى أمام النيابة العامة ـ ص ٢١٣ ·

(٢٩) المرجع السابق ـ محضر أقوال اويس اسحق يوسف ـ أمام النيابة العامة ـ ص ٣٤٥ ·

(٣٠) المرجع السابق ـ محضر أقوال حسن توفيق طلعت أمام النيابة العامة ـ ص ٢٤٨ ·

(٣١) المرجع السابق ـ محضر أقوال نبيل باسيلى قرنفلى أمام النيابة العامة ـ ص ٣١٢ ·

(٣٢) المرجع السابق ـ محضر أقوال اسماعيل صبرى عبد الله ـ أمام النيابة العامة ـ ص ٢١٥ ·

ويقـول الهـام سيف النصر (الراية) « أنا شخصيا لا أفضل نظام على نظـام ، وان كنت أفضل من الناحية العـامة النظـام الاشتراكى ، وأعتقـد أن غالبية المصريين بمـا فيهم الحكومة الوطنية القائمة تتجه هذا الاتجـاه ٠٠ وقـد يكون الطريق لمصر هو الطريق الاشتراكى التعاونى الذى أعلن عنه الرئيس جمال عبد الناصر » (٣٣)

ويقول محمود المستكاوى (الراية) « أعتقـد أن السلطات وعلى الاخص كل ما ورد فى خطب الرئيس جمال عبد الناصر يعبر عن السير بالمجتمع فى بلادنـا نحو الاشتراكية » (٣٤)

ولست أريـد لاحد أن يأخذ هذه الاقوال ـ بمجملها ـ كمظهر ضعف لأصحابها ، لعلها كانت كذلك بالنسبة للبعض الذين رفعوا راية التشـدد الطبقى والسياسى ثم ما لبثوا أن تراجعوا عندما وقعوا فى قبضـة العـنو الطبقى ، لكنها كانت بالنسبة للبعض الآخر تعبيرا عن قناعات حقيقية ٠٠

يقـول سعد رحمى « أنا عاوز أؤكد اننى شخصيا أعتز جدا بالحكم الوطنى القـائم فى بلادنا وأعتبره قفزة ضخمة فى تاريخ بلادنا ٠ وأعتقـد أن النقـد المخلص والنزه عن الغرض لهذا الحكم الوطنى وكشف النقائص التى قـد توجـد فى بعض الاحيـان ومحاولة تقـديم الحلول والمقترحـات لتلافى هذه النقائص ٠٠ أعتبر أن هذا الموقف هو موقف بنائى ومدعم للحكم الوطنى » (٣٥)

وهكذا ٠٠ واذا كان الكثير من المتشددين قـد أخفوا انتقاداتهم عندما واجهوا المحقق فان غير المتشددين يحرصون على ابرازها ٠

وأيضا محمود أمين العـالم يؤكـد « ان العهـد الحاضر يقوم بشكل عام على تحقيق هذه الاهداف التى أنادى بهـا ، وان كنت أختلف جزئيـا فى بعض الوسائل ٠٠ وأعتقـد أن تحقيق هذه الاهداف بشكل كامل أو أكثر نموا يستلزم مزيدا من الاوضـاع الديمقراطية التى تكفـل لنـا تحقيـق هذه الأهداف » (٣٦)

---

(٣٣) المرجع السابق ـ محضر أقوال الهام سيف النصر أمام النيابة العامة ـ ص ٢٧١ .

(٣٤) المرجع السابق ـ محضر أقوال محمود المستكاوى أمام النيابة ـ ص ٣١٠ .

(٣٥) المرجع السابق ـ محضر أقوال سعد محمود رحمى أمام النيابة العامة ـ ص ٣١٣ .

(٣٦) المرجع السابق ـ محضر أقوال محمود أمين العالم أمام النيابة العامة ـ ص ٣٢٣ .

•• ولعل مواقف بعض القيادات أمام المحقق •• هى التى دفعت بالسكرتير العام أبو سيف يوسف الى أن يصدر قرارا •• « يلزم أعضاء اللجنة المركزية بالاعتراف بعضوية الحزب أمام المحكمة ، وقد استثنى من هذا القرار محمود أمين العالم وحسين توفيق طلعت وحسن صدقى على أساس أنهم كانوا يعملون فى منابر علنية • وقد ألزم الباقين بالدفاع عن عضويتهم بالحزب أو أن يتخلوا عن عضويتهم فى اللجنة المركزية ، ولم ينفذ هذا القرار سوى فؤاد شحتو وحلمى يسن وأنا ، أما الاخرين فلم ينفذوه ، ولم يتخذ ضدهم أى اجراء » (٣٧)

ومن بين الذين قدموا دفاعا عن عضوية الحزب عوض الباز وقد ضبط دفاعه وهو تحت الطبع لدى محمد فؤاد ابراهيم وجاء فيه « ان الحكومة تقف ضد مطالب العمال لصالح كبار الرأسماليين »(٣٨)

وبرغم كل ما سبق ، وبرغم الاتفاق أو الاختلاف مع المقولات والاطروحات فمما لا شك فيه أن غالبية رفاق هذه المجموعة قد اتخذوا سواء فى السجن أو أمام المحاكم مواقف صلبة وشجاعة ••

وأمام القاضى دافع هذا البعض عن المبدأ وعن الموقف مقدما نموذجا يستحق الاعجاب ••

وكذلك كان الامر أثناء محاكمة أبو سيف يوسف وزملائه ••

•• ان الكلمات قد تبدو بسيطة وسهلة وهى تحاول أن تصف المواقف ••

•• ولكن « لا يعرف الشوق الا من يكابده » •• لقد كان الظرف صعبا والارهاب خانقا والتعذيب وحشيا •• والثبات فى وجهه ، والتمسك بالمبدأ ازاءه هو بذاته بطولة ورجولة •• تستحق الاعجاب •

❋ ❋ ❋

وننتقل الى الموقف السياسى •• كيف تطور مع الاحداث ، والى أين وصلت به المواقف المتشددة ••

وابتداء نقرر أن رفاق هذه المجموعة كانت تموج بينهم روح التحدى والحماس وقد انطلقوا فور الحملة البوليسية فى عمل حماسى وتوالت بياناتهم

---

(٣٧) رحمى — المرجع السابق .

(٣٨) ملف القضية رقم ٢٨٢ لسنة ١٩٦١ أمن دولة عليا — المتهم فيها أمام محمود رفاعى وآخرين — اطلاع النيابة على مضبوطات محمد فؤاد ابراهيم — ص ٢٤٨ .

لتوزع بكثافة كبيرة ٠٠ وليستمر صدورها منتظما لفترة زمنية أطول من مطبوعات فريق حدتو ٠٠

٠٠ « عثر ظهر يوم ٨ ـ ٢ ـ ١٩٥٩ باحدى سيارات الاتوبيس المعدة لتنقلات أعضاء وفود شباب آسيا وافريقيا بالمدينة الجامعية بالجيزة على بعض نشرات مطبوعة على الرونيو ، وموجهة للسادة أعضاء وفود المؤتمر ومذيلة بأسماء بعض أعضاء الحزب الشيوعى المتهمين فى القضية ٣ حصر أمن الدولة وبظهر النشرة ترجمة لها باللغة الانجليزية ، ولم تتوصل التحريات الى معرفة الذى ألقى بها ٠٠ »(٣٩)

و ٠٠ « السيد رئيس نيابة أمن الدولة : بالنسبة للنشرة الواردة للسيد قاضى محكمة الموسكى الجزئية بعنوان : سياسة الارهاب لا تخدم سوى الاستعمار والصهيونية وبتوقيع الحزب الشيوعى المصرى نفيد بأن هذه النشرة أصدرها بعض أعضاء الحزب الشيوعى المصرى الذين لم يضبطوا بعد ـ وذلك بتاريخ ٢٦ ـ ١ ـ ١٩٥٩ ٠ وجرى توزيعها ببعض المناطق بمدينة القاهرة »(٤٠)

وأيضا ٠٠ « بمعرفتى أنا البكباشى حسن المصيلحى ٠٠ فتح المحضر بتاريخ ٢٠ ـ ٢ ـ ١٩٥٩ لأثبت الآتى : بالنسبة للقضية الشيوعية رقم ٣ حصر أمن الدولة لسنة ١٩٥٩ فقد أصدرت منظمة الحزب الشيوعى المصرى نشرة اتحاد الشعب رقم ١٩ مؤرخة فى ١١ فبراير ١٩٥٩ وتضمنت عدة مقالات تهاجم فيها النظام القائم منها مقال بعنوان « أوقفوا مهزلة محاكمة الشيوعيين والتقدميين »(٤١)

وقد كان الحزب يمتلك جهازى طباعة ضبط أحدهما فى ٢٨ ـ ٣ ـ ٥٩ بمنزل كمال فراج ومحمد محمد البياع ٠٠ وضبط على جهاز الطباعة أصل منشور بعنوان « مكاسبنا الوطنية فى خطر » جاء فيه « ان تنكر عبد الناصر لمساعدات الاتحاد السوفييتى وتهجمه على الشيوعيين سيقود حكومته للاستسلام للمستعمرين »(٤٢)

---

(٣٩) ملف القضية ٨ عسكرية عليا ـ رسالة من ادارة المباحث العامة الى رئيس نيابة أمن الدولة ـ ص ١٥٠٤ .

(٤٠) المرجع السابق ـ رسالة من ادارة المباحث العامة الى رئيس نيابة أمن الدولة ص ١٥٠٣ .

(٤١) المرجع السابق ص ١٥٠٦ .

(٤٢) المرجع السابق ـ شهادة البكباشى عبد الرحمن منصور أمام النيابة العامة ص ١٥٢٣ .

أما الجهاز الاخر فقد كان أحد أجهزة الموحد وكان يعمل عليه أحد كوادر الموحد ـ صابر زايد ٠٠ ويقول « ٠٠ نقلت الجهاز الى الزقازيق ولم أكن أعلم أى شىء عن الانقسام ، فلقد كنت معزولا تماما وكان مسئول الاتصال بى سامى عجيب ٠ ولما علمت بالانقسام فاننى وفق تربيتى طوال حياتى فى حدتو ضد الانقسامية ولهذا قررت أن أبقى ضد الانقسام ٠

٠٠ وفى آخر ديسمبر ١٩٥٩ قبض على وأعتقد أن (٠٠٠) قد اعترف على مكانى وهذا ثابت فى أوراق القضية لكن الخلافات بين المجموعتين الراية و ع٠ف منعت من أى محاسبة » ٠

ومع ذلك فقد استمرت البيانات فى الصدور ٠٠ كانت تصدر مطبوعة بشكل بدائى ، وبأعداد قليلة وتعتمد أساسا على ارسالها بالبريد ٠٠ لكنها ظلت تصدر على أية حال ٠٠ تدفعها حيوية مجموعة محدودة العدد كانت تعتمد أساسا على جهازى طبع بدائيين (برواز من الخشب مشدود عليه قطعة من الحرير ـ ثم اسطوانة من المطاط) وكان أحدهما بمنزل امام محمود رفاعى والاخر لدى محمد فؤاد ابراهيم ٠٠ قد قبض على هذه المجموعة فى ١٦ ـ ٥ ـ ١٩٦٠ وكانت تضم محمد عبد العزيز شعبان ـ محمد يوسف اسماعيل وشهرته (صبحى) ـ بدوى محمود ـ وثروت محمد شعراوى ـ ونيازى محمد رسلان ٠٠ الخ بالاضافة الى امام رفاعى ومحمد فؤاد ابراهيم

وبالقبض على هذه المجموعة ٠٠ أصبحت القيادة المركزية فى وضع صعب ومع ذلك استمرت فى العمل لكنها قبض عليها فى ٢ ـ ١٢ ـ ١٩٦٠ ٠٠ حيث كان ذلك ايذانا بتوقف نشاط هذه المجموعة توقفا فعليا ٠٠

ولا بد لنا أن نتذكر صعوبة الظرف وثقل المهمة ٠٠ وأن نتذكر أن تواصل هذا النشاط كان يتم فى ظل حملة ارهاب لم تشهد لها مصر مثيلا ومن ثم فان تقييم هذا الجهد لابد له أن يرتبط بطبيعة الظروف التى وقع فيها ٠

* * *

والآن ماذا كانت تقول هذه البيانات ٠٠ وكيف تجاوبت مع الاحداث؟ ٠٠ لدينا الامكانية للاطلاع على بعض مقتطفات من بيانات عديدة ٠٠

نحن الآن بعد مضى عام كامل من حملة القبض الاولى ٠٠ وبمناسبة مرور عام على هذه الحملة ٠٠ توجه القيادة الحزبية خطابا مفتوحا الى عبد الناصر ٠

العنوان : « خطـاب مفتوح من الحزب الشيوعى الى رئيس الجمهورية ـ الخطـاب الأول »

وقد جاء فيه « انـا نوجه الى رئيس الجمهورية بمناسبة العـام الجـديد كشف حساب عن نتـائج السياسة الارهابية التى بدأت بشـكل خاص بعد الخطـاب المشئوم الذى ألقـاه الرئيس فى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٨ ، والذى كان اشارة البدء فى العدوان على حقوق الشعب وحرياته تحت شعار الدعوة التلقيدية لمكافحة الشيوعية »

وتمضى الرسالة لتقول تحت عنوان « سيطرة الاحتكارات المصرية على الحكم » ٠٠ « ان الشعب يضج بالشكوى من سوء الظروف الاقتصادية بينما تزداد الاحتكارات ثراء » و ٠٠ « أين ذهبت الاربعين مليون جنيه دخل قناة السويس ، ومئات الملايين من الجنيهات التى صودرت من الاسرة المـالكة ، لقـد ذهبت الى الاحتكارات المصرية ، فلقـد زادت أصول بنك مصر وحده ٤٣ مليون جنيه ، وكذلك شركاته وأيضا شركة الاسمنت التى تسـيطر عليهـا أسرة عبود والسيد بدراوى عاشور ٠٠ وأبو رجيلة يسيطر اليوم على معظم مواصلات العاصمة » ٠

ثم ٠٠ « ان المؤسسة الاقتصادية لم تفعل شيئا لهؤلاء الاحتكـاريين بل وضعت على وجوههم برقعـا أسمته الاشتراكية التعاونية ٠٠ »

بل ان ٠٠ « المؤسسة الاقتصـادية تسرق أموال الشـعب باسـم الاشتراكية وتضعها فى أيدى لصوص الاشتراكية ، وبذلك تطبـق المثـل الشعبى القـائل حاميها حراميها ٠٠ وكذلك الحال بالنسبة للجان ومجالس التخطيط التى تضم احتكاريين وكبار رأسماليين ٠٠ »

وأخيرا ٠٠ « هذه هى حكومة عبد الناصر ٠٠ وهذه هى مجـالسه ومؤسساته »

وحتى مشروع السد العالى ٠٠ « سوف تجنى ثماره شركات المقاولات الكبرى وشركات استصلاح الأراضى والشركات الصناعية فيما بعد » (٤٢)

٠٠ وهكذا تصل الامور بالموقف السياسى الى حالة من التوتر الخالى

---

(٤٣) منشور مكون من ست صـفحات مكتوب على الآلة الكاتبة ومطبوع على الرونيو . الاربعة صفحات الاولى فى حجم الفولسكاب أما الصفحة الخامسة والسادسة فهى فى حجم ربع الفولسكاب . والمنشور معنون . خطاب مفتوح من الحزب الشيوعى المصرى الى رئيس الجمهورية ـ الخطاب الاول .

من امكانية التقاط الخيط الصحيح ، والمتفجر بكلمات ضخمة لم يعمل العقل لدى اختيارها • ثم يصدر الخطاب الثانى من الحزب الى رئيس الجمهورية ••

•• « لقد قدم الحزب الشيوعى المصرى فى خطابه السابق لرئيس الجمهورية وللشعب كشف حساب عن المشكلة الاقتصادية التى تطحن الفئات الشعبية والرأسماليين المتوسطين نتيجة لخضوع الحكومة لسيطرة اتحاد الصناعات وبنك مصر • ولقد فضح الحزب وبالارقام والاسماء كيف تسرب الدخل القومى الى جيوب كبار الرأسماليين •• رجال عهد فاروق الخونة الذين يتولون الان ادارة مجلس الانتاج القومى والمؤسسة الاقتصادية ولجان التخطيط •• وهذا الوضع الاقتصادى المقلوب هو أساس محنة الديمقراطية •• ان سياسة الدكتاتورية (وهكذا عادت حتى الالفاظ القديمة) هى نتيجة نهب الفئة العليا من الرأسمالية لارزاق الشعب »

والديمقراطية تعنى •• « حق الدفاع عن لقمة الخبز والحياة الكريمة •• تعنى حق العامل فى الكفاح من أجل زيادة أجره وخفض ساعات العمل •• وتعنى حق الفلاح فى الكفاح ضد سيطرة الاقطاع الحكومى الجديد »(!)

و •• « ان الشعب بأجمعه لا يصدق ما يقوله رئيس الجمهورية ويتوقع منه عكس ما يقول فاذا ما تحدث ء نالديمقراطية أدرك أنه يقصد الدكتاتورية ، واذا تحدث عن الاشتراكية عرف أنه يقصد الاحتكارية » •

وهكذا فان التطرف اليسارى اذ ينطلق بلا ضابط لا يلبث أن يفلت من كل تحقيق ، ولا يلبث أن يستدرج أصحابه الى مواقف لعلهم ما كانوا يريدونها فى بداية الامر •• لكن اليسارية انطلقت وأصبحت نهجا ، بل ومباراة تصور البعض أن الفوز بها يكون بالمزيد من التطرف ، وترجم الامر كله فى المزيد من الكلمات المتشددة •

ولكن لا تلبث الاحداث أن تصدم المتطرفين •• وتضعهم فى المأزق فيعودوا الى ترديد كلمات مرتبكة •• ففى ذات البيان السابق تضاف فقرة فى آخر لحظة تقول : « نحن نؤيد كل خطوة يخطوها عبد الناصر ضد الاستعمار » ثم •• « أذيعت أخيرا أنباء على جانب من الاهمية السياسية وهى الاتفاق بين القاهرة وموسكو على استكمال بناء السد العالى •• وهذا الاتفاق لطمة للاستعمار العالمى » (ولم يتوقف أحد ليسأل نفسه لماذا يوجه الاحتكاريون والاقطاعيون الجدد المشار اليهم فى ذات الورقة •• لطمة للاستعمار ؟ ـ المؤلف) •

ثم ٠٠ « وان الحزب الشيوعي المصرى اذ يؤيد هذه الخطوة الوطنية من جانب عبد الناصر انما يعتبرها بداية لتراجعه عن سياسة استرضاء الاستعمار والهجوم على المعسكر الاشتراكى »(٤٤)

لكن صوت العقل لا يلبث أن تخنقه النزعات اليسارية ٠٠

فثمة منشورات مكتوبة بخط اليد موقعة باسم الحزب الشيوعى المصرى ٠٠ منطقة القاهرة « أ » ــ تقول : « ان الاتحاد القومى هو حزب البرجوازية المصرية وهو جهاز بوليسى لكبت الشعب ، ولا يرجى منه أى خير ٠٠ وان الحكومة بسيرها فى هذا الطريق انما تدعم القوى الرجعية ، وبذلك اتسعت جبهة المعارضة ضد أعداء الشعب » ٠

و ٠٠ « ان لسان البرجوازية الناطق جمال عبد الناصر استمر يفصح لمدة ساعتين فى عيد النصر ، وقد ردد عبد الناصر ادعاءاته القديمة عن زيادة الانتاج ٠٠٠ حقيقة لقد زاد الانتاج وبنيت المصانع ، وكل هذا يشجعه الشيوعيون ولكن هذه الزيادة فى الانتاج انما تتم لمصلحة أصحاب الشركات وليس لمصلحة الكادحين من العمال والفلاحين ، كما ان النظام السياسى الذى تريده الحكومة للبلد وهو الاتحاد القومى ليس سبيلا الى الوحدة الوطنية ولكنه دكتاتورية الاقلية ضد الاغلبية » (٤٥)

وفى ٢٢ فبراير ١٩٦٠ ٠٠ يصدر الحزب بيانا جديدا :

٠٠ « فى يوم ٢٢ فبراير منذ عامين تحققت الوحدة وعمل الاستعمار على تدبير المؤامرات ضدها ، وقام الملكين الخائنين سعود وحسين بالدور الاساسى فى هذه المؤامرات ، أما الوطنيون والشيوعيون فقد اعطوا أصواتهم فى الاستفتاء السرى الى جانب الوحدة واختيار عبد الناصر رئيسا ٠٠ هذا ما أعلنه خالد بكداش فى مجلس النواب السورى واعلنه الدكتور خالد زكريا

---

(٤٤) منشور مكون من أربعة صفحات فى حجم الفولسكاب مكتوب على آلة الكاتبة ، ومطبوع على الرونيو ومعنون « خطاب مفتوح من الحزب الشيوعى المصرى الى رئيس الجمهورية ــ الخطاب الثانى ــ حول قضية الديمقراطية » .

(٤٥) أربعة منشورات مكتوبة بخط اليد قدمها للنيابة البكباشى عبد الرحمن عشوب قائلا انه حصل عليها من مصدر سرى أبلغه انه تسلمها من منصور عبد الاخوات ابراهيم (طالب بالأزهر) ــ وقد أثبت الطب الشرعى انها بخط المذكور . ملف القضية ٢٨٢ لسنة ١٩٦١ .

فى مجلس الامة المصرى ، ثم انقلبت الامور فى نظر عبد الناصر ·· وأصبح سعود وحسين أصدقاء للوحدة العربية وأصبح الشيوعيون أعداءها » ·

و ·· « ان طريق الشعب لم يكن من الممكن أن تسير فيه حكومة تقوم على أكتاف حثالات المرتشين والانتهازيين من الضباط والمحاسيب أمثال طعيمة والطحاوى والليثى عبد الناصر والجابرى صهر عبد الناصر ، وحسن مرعى رئيس اتحاد الصناعات وشقيقه الوزير سيد مرعى ، وعلى صبرى ابن أخت على الشمسى باشا ··· لم يكن يمكن أبدا أن تقف الى جانب الشعب حكومة تلطخت يداها بدماء خميس والبقرى وغيرهم من الشهداء »

وتحدث البيان عن حملة الارهاب والاعتقالات وبث الجواسيس وتكميم الافواه ·· و « طبخ مهزلة الاتحاد القومى ليكون سجنا كبيرا لمن لم تبتلعهم السجون وبدأت عمليات التعذيب الوحشى وسقط الشهداء العديدين ·· وبذلك سار عبد الناصر فى طريق الديكتاتورية والاعتداء على مصالح الشعب » ·

ثم ·· « ان صراخ عبد الناصر ومؤامراته وحملاته الاذاعية والصحفية لم تنجح حتى اليوم فى اسقاط شعرة من رأس قاسم ، وذلك لان عبد الناصر قد أصبح اليوم رمزا للدكتاتورية والرجعية »(٤٦) ·

وما أبأس أن يهيمن تفكير يسارى مناوىء لكل ما يجرى ·· ما أبأس أن يسبح السياسى فى الاتجاه الخطأ ·· وضد التيار أيضا ·· اذ لا يلبث عبد الناصر أن يصدر قرارا بتأميم بنك مصر ··

لكن معين اليسارية لا ينضب · فتصدر الجماعة بيانا بعنوان « من الذى يستفيد من تأميم بنك مصر » ·

يقول « ان هناك نوعين من التأميم ، تأميم اشتراكى يضع ايرادات المؤسسات المؤممة فى خدمة الفئات الشعبية ، وتأميم رأسمالى (!) يضع ميزانية الدولة فى خدمة كبار الرأسماليين ، ان تأميم بنك مصر يستهدف جعل ميزانية الحكومة ضمانا يحمى كبار الرأسماليين المساهمين فيه من الافلاس وقت الازمات ·· ويقصد اسقاط الديون التى تستحقها الحكومة عليه » (نلاحظ أن منشورا سابقا أشار الى أن أصول بنوك مصر قد زادت ٤٣ مليون جنيه ـ المؤلف) ·

---

(٤٦) ملف القضية ٢٨٢ لسنة ١٩٦١ ـ محضر اطلاع النيابة على مضبوطات المتهم نيازى محمد رسلان صالح ـ والمنشور عبارة عن ورقة واحدة مطبوعة على الوجهين بالآلة الكاتبة ومطبوع بالرونيو ومعنون بيان من الحزب الشيوعى المصرى ـ البيان رقم ١٧ ·

وبعد أن أدان المنشور عملية تأميم بنك مصر باعتبارها محاولة لخدمة الاحتكاريين وضمان أرباحهم قال ٠٠ « ان عبد الناصر يقلب الحقائق لانه يملك فى احدى يديه وسائل الدعاية ، وفى اليد الاخرى وسائل الارهاب »(٤٧)

وبيان آخر « العدو على الابواب ، وعبد الناصر ماض فى سياسة الارهاب » ٠٠

« أخيرا اعترف عبد الناصر أن الاستعمار العالمى وعلى رأسه أمريكا يتآمر مع الصهيونية ضد الوطن العربى ٠٠ وذلك بعد أن أخفى هذه الحقيقة عن الشعب طوال الفترة التى عاد فيها الى سياسة الدكتاتورية والارهاب ، ورفع فيها شعار مكافحة الشيوعية ٠٠ ولم ينس الشعب كيف ركز عبد الناصر هجومه فى الشهور الماضية على الاتحاد السوفييتى والصين الشعبية وبلغاريا ، وكيف أعتقل الآلاف من النقابيين والشيوعيين والديمقراطيين ، ولم ينس افراجه عن الجاسوس البريطانى ستونبرج ، ومنحه الحريات الواسعة لجواسيس النقطة الرابعة ، وأصدقاء السفارة الأمريكية ، ولم ينس كيف بلغ جحوده الى درجة انكاره تأييد الاتحاد السوفييتى لنا عسكريا واقتصاديا خلال العدوان الثلاثى » ٠

و ٠٠ « لقد اضطر عبد الناصر الى الاعتراف بالحقيقة التى أكدها الحزب الشيوعى المصرى الا وهى استحالة التحالف بين الوطنية والاستعمار ولكن هل سيستقر عبد الناصر على هذا الموقف أم سينقلب على نفسه كما فعل عشرات المرات من قبل ؟ ان عبد الناصر يتمنى لو عاد الى سياسة التحالف مع الاستعمار خوفا من أن تضطره المعركة الوطنية الى الاعتراف بحقوق الشعب » ٠

وبعد هذا كله ٠٠ « ان موقف الشيوعيين ضد الاستعمار والصهيونية ثابت لا يتغير ، واننا نعلن اننا سنقف الى جانب عبد الناصر اذا كان جادا فى مواجهة الاستعمار والصهيونية ٠٠ »

٠٠ ثم أصدرت الجماعة برنامجا مرحليا جديدا ٠٠

جاء فيه « ان المطلب الاساسى للشعب هو اقامة نظام ديمقراطى برلمانى يسمح لكل فئة اجتماعية بالدفاع عن مصالحها ويحميها من

---

(٤٧) المرجع السابق ــ محضر اطلاع النيابة على مضبوطات المتهم فوزى عبد رسلان صالح ــ والمنشور عبارة عن ورقة فى حجم الفولسكاب مكتوبة بالآلة الكاتبة ومطبوعة بالرونيو ومعنونة « بيان من الحزب الشيوعى المصرى ــ البيان رقم ١٨ » .

ثم شعارات مطبوعة « الحزب الشيوعى المصرى يؤيد موقف عبد الناصر من مشكلة الباخرة كليوباترا ـ الحزب الشيوعى يؤيد تراجع عبد الناصر عن مهادنة الاستعمار الامريكى ويطالب باطلاق الحريات للشعب من أجل المعركة الفاصلة »(٥١) ٠

٠٠ الحزب الشيوعى المصرى يؤيد ٠٠ !

انها نغمة جديدة تماما ٠٠ لكنها لم تستمر ٠

فللمرة الثانية تقع المصادفة المريبة ٠٠ فكما وجهت الضربات الاساسية لجماعة حدتو عندما تمسكت بخط التأييد للايجابيات وانتقاد السلبيات (مع ملاحظات على التفاصيل) حتى أسكت صوتها ٠٠ كما حدث ذلك فان قوى معينة قررت انه قد آن الأوان لاسكات هذا الصوت الجديد ٠٠ ومنع كلمة « الحزب الشيوعى المصرى يؤيد ٠٠ » من أن يعاد طبعها من جديد ٠

٠٠ المهم وقعت المصادفة المريبة ٠٠ وتم تركيز شديد ومفاجىء ٠ انتهى بالقبض على غالبية الكوادر الباقية بالخارج وعلى مجمل الجهاز القيادى ٠٠

٠٠ وفى السجن برزت سياسة التشدد مرة أخرى وسادت لدى هذه المجموعة نغمة « رأسمالية الدولة الاحتكارية » ٠٠ حتى بعد فيض التأميمات فى يوليو ١٩٦١ ٠٠ وبعد الميثاق الوطنى ٠٠ وبعد كل الاجراءات التى نالت لبس فقط تأييد الشعب المصرى ٠٠ وانما كل القوى الوطنية والتقدمية فى العالم ٠٠

ولكم يبدو مثيرا للاهتمام ان نقارن بين التحليلات والاوصاف الواردة فى الصفحات السابقة ٠٠ وبين ما أصدرته ذات الجماعة من بيانات عقب الافراج عن الجميع فى ابريل ١٩٦٤ ٠٠

٠٠ فلننتظر الصفحات القادمة ٠٠ لنقارن بين المواقف والمقولات ٠٠

---

(٥١) المرجع السابق ـ محضر اطلاع النيابة على مذكرات محمد فؤاد ابراهيم ـ والمنشور عبارة عن ورقة فى حجم ربع الفولسكاب مكتوبة بخط اليد ومطبوعة بالرونيو ـ ومؤرخة فى ٢٧ أبريل ١٩٦٠ ـ ص ٢٣٨ .

الاضطهـاد ومن سيطرة الفئات العليـا ، واطلاق حرية تكوين الاحزاب ·· وانتخـاب هيئة تأسيسية تضع دستورا يعبر تعبيرا حقيقيا عن مصـالح الشعب ، ثم تجرى على أساس هذا الدستور انتخابات حرة » ·

وطالب البرنامج أيضا « بالغـاء الاحكـام العرفية واطلاق الحريات السياسية والغـاء الرقـابة على الصحف ، والافراج عن المعتقلين ، ومحاكمة قتلة الشهداء » ·

وتحت عنوان المطالب الاقتصادية المباشرة أورد البرنامج سبعة عشر مطلبا جزئيا مثل « تخفيف عبىء الضرائب والرسوم ـ وضع نظام شـامل للتأمين ضد البطالة ـ العمل على تدعيم الخدمات الصحيـة والاجتمـاعية والثقافية للفئات الشعبية ·· زيادة علاوة غلاء المعيشة ·· ووضع حد أدنى مناسب للأجور ·· »(٤٨) ·

ولم يتنـاول البرنامج أيا من القضـايا الاسـاسية المطروحة مثـل التأميمات ·· ولكن الاهم انه جاء خاليا تماما من الهجوم على عبد الناصر وجاء خاليا من الألفاظ العنيفة التى تواترت فى البيانات السابقة ··

الجماعة الآن فى المـأزق ·· وهى الآن تقف بين فكى كسارة البندق ، تقف بين انطلاق حملة عبد الناصر ضد الاستعمار واقترابه من الاتحـاد السـوفييتى ، والمزيد من الاجـراءات والمنجزات فى مجـال حقوق الطبقة العاملة (٤٩) ·· وغيرها من الفئات الاجتماعية ·· تقف بين هذا كله وبين موقف يسارى متشدد اصبح يشدها ·· بل ويقيدها ··

وازاء هذا الموقف المرتبك ·· اتخذت قيادة الجماعة موقفا مرتبكا ·· يمكن وصفه بانه تأييد فى صيغة الهجوم ، أو هجوم فى صيغة التأييد · وأمامنا بيان معنون « حول تطورات سياسة عبد الناصر ·· عبد الناصر يتراجع عن مهادنة الاستعمار ، فلمـاذا لا يعبىء الشعب من أجل المعركة ؟ »·

و ·· « تمر البلاد فى هذه الايام بمرحلة دقيقة هى مرحلة انتقال من سياسة مهادنة الاستعمار ·· ولكن عبد الناصر الذى لدغ من جحر الاستعمار

---

(٤٨) المرجع السابق محضر اطلاع النيابة على مضبوطات زينهم رسلان ص ١٩٩ ـ والمنشور عبارة عن ورقة فى حجم الفولسكاب مكتوبة على صفحتيها ونصف ورقة مكتوبة على صفحتيها ـ وهى مكتوبة على الآلة الكاتبة ومطبوعة بالرونيو ومعنونة « برنامج من الحزب الشيوعى المصرى ـ بيان رقم ٢٠ » ص ١٩٩ .

(٤٩) للتفاصيل حول هذه المنجزات راجع : ألفت محمود فؤاد عاطف ـ العمال والحركة العمالية فى مصر ١٩٤٢ ـ ١٩٦١ رسالة ماجستير ـ غير منشورة (١٩٨٥) .

اكثر من مرة ، عاد الى مداعبة الثعابين فى جحورها بعد أن خيل اليه انه يمكن كسب صداقتهما باضطهاد الشيوعيين ، وها هو يفشل مرة أخرى فى ترويض الثعابين كما فشل عام ١٩٥٤ عندما وقع اتفاقية الامن المتبادل مع امريكا ، واتفاقية الجلاء مع بريطانيا ، فكان جزاؤه على ذلك هو مؤامرة حلف بغداد والاعتداءات الصهيونية سنة ١٩٥٥ » ٠

وبعد ذلك تأتى فقرة جديدة تماما ، وهامة للغاية ٠٠ « ان الحزب الشيوعى المصرى يرى بأن سياسة التأييد المرتبط بالضغط ازاء مواقف عبد الناصر الاخيرة هى الطريق الوحيد » ٠

ثم ٠٠ « ان محور سياسة عبد الناصر هو أن الحكومة تخاف من الاستعمار وتخاف ايضا من الشعب ، وانه كلما زاد الخطر الاستعمارى زاد التجاء الحكومة الى الشعب ، وكلما زاد خطر الحركة الشعبية على أطماع الاحتكاريين المصريين ، زاد التجاء عبد الناصر الى الاستعمار » ٠

ونكاد نلحظ أن هذه الكلمات هى محاولة لتبرير الامر كله لقواعد ٠٠ وليست تحديدا لموقف الجماعة ٠٠

ويمضى البيان ٠٠

٠٠ واذا « كانت الايام قد اقنعت عبد الناصر بان الاستعمار هو الخطر الحقيقى الا انه لا يزال يتوهم ان اطلاق الحريات للقوى الشعبية يهدد سيطرته » ٠

وايضا « ان عبد الناصر يعتبر ان الاستعمار عدو مؤقت ولا يرفع راية الدفاع عن الوطن الا دفاعا عن مصالحه ، ومصالح الرأسمالية المصرية ، لكن الشعب لن يسمح لعبد الناصر فى هذه المرة بان يتراجع وقت يشاء ، ولن يسمح له بأن يلقى على كاهل الفئات الشعبية كل تضحيات المعركة ، بينما يجمع كبار الرأسماليين كل مكاسب المعركة » ٠

وأخيرا « فانه اذا كان من الخيانة أن يتكاسل أى مواطن فى تأييد أى موقف ايجابى يتخذه عبد الناصر ضد الاستعمار ، فانه من الخيانة ايضا ان نترك لعبد الناصر وحده سلطة محاربة الاستعمار ، والاتفاق معه وفق مصالحه الخاصة ومصالح الرأسمالية المصرية »(٥٠) ٠

---

(٥٠) ملف القضية ٢٨٢ لسنة ١٩٦١ محضر اطلاع النيابة على مضبوطات أوراق محمود سليمان ... والمنشور عبارة عن ورقتى فولسكاب مكتوبة بالآلة الكاتبة على الوجهين ومطبوعة بالروتيو . منشور « حول تطورات سياسة عبد الناصر ... بيان من الحزب الشيوعى المصرى رقم ٢١ » ص ٢٠٢ .